

في رحلة الحياة.....!!!

بقلم : أدما حبيبي

كتب يقول: " أهلاً بكِ شريكة وحببية في رحلة الحياة. أهلاً بكِ معي إلى جانبي حبيبة وزوجة وزميلة. أهلاً بكِ في كل أحوالك، وأياً كان ما ترغبين.

فأنا يا سيدتي أثق في ذاتي. أو من برجولتي التي لا تكتمل إلا بك. وبوجودك في هذا العالم. لا أغار منك ولا أنتقص من قدرتك ولا أحقد لما منحك الخالق من روعة وعظمة وتفرد وجمال. فأنا أحبك يا سيدتي. فأنت الأنثى، وأنت الزهرة التي أحيا باستنشاق عبيرها. وبقدر احتياجي وحببي وخضوعي لما تريدين بقدر عتابي وقسوتي في بعض الأحيان.

تريدين المساواة... نعم نحن متساويان، ولكن ، هل أعددت روحك الرقيقة لتحديات التساوي؟ هل تقبلين برفقتك وجمالك وعطرك الفواح أن تدفعي لي مهراً للاقتران بي؟ أن تؤثني لي سكناً لنحيا فيه معاً؟ أن تقدمي لي من الهدايا والذهب والمرمر والياقوت ما تخطبين به رضاي؟ هل تعملين وتكدين وتكدهين ؟ ويسعدك أن يكون شقاؤك من أجلي؟

هل سيدتي لديك الاستعداد لتبادل الدور؟ إذا قلتي نعم جواباً على أسئلتني، فأهلاً بكِ شريكة نتساوى معاً في تقاسم عذابات الدنيا، لتأخذي من الأدوار ما تشائين، لتحملي من الأعباء ما يفرض عليك هذا التساوي، لتترجع إلى الوراء ادعاءات الضعف والخجل والأنوثة ، لتصبحي مخلوقاً آخر."

كان هذا ما كتبه أحد الصحفيين العرب في زاوية سيدتي عن المرأة العربية التي تطالب بحقوقها وقد دعاها في نهاية حديثه إليها إلى إثبات هذا التساوي بتوجيه تحدٍ جديد. فطالبها بالمشاركة في كل شيء وليس المشاركة فحسب بل وحتى إلى استبدال الدور

بينها وبينه. فهل هذا حقا ما تطالب به المرأة العربية في بلادنا العربية؟ هل حقا نريد يا سيدتي المنافسة بدلا من المشاركة والعناد بدلا من الرقعة، والصراع بديلا للوفاق؟ أحقا كما قال نريد أن نتحوّل من حالة إلى حالة؟ أحقا نريد الخروج على نواميس الحياة وتدمير شرائع السماء؟ أحقا نريد أن نخرج من مملكة الأسرة التي نتربع على عرشها؟ أحقا نريد نحن النساء تدمير العالم وقتل الحب والرحمة والتسامح؟ وكذا نريد حربا على الرجل نصفنا الآخر؟

لا أعلم كيف صنّف هذا الصحفي العربي النساء العربيات ومطالبتهن بحقوقهن الطبيعية أولا وليس المكتسبة ، بنفس صنف النساء الغربيات اللاتي يطالبن بالمساواة في كل المناحي كمثل حركة تحرير المرأة "Women's Liberation Movement" وغيرها من حركات، ليس في أميركا فقط بل في بريطانيا أيضاً. وما قرأته في إحدى الصحف مؤخراً أثار استغرابي بالحق. إذ أصدرت الحكومة البريطانية بعد دراسة طالّت أربع سنوات تحت عنوان: **فعالية القتال وعلاقته بجنس الجنود** قراراً يقول: "إن السماح للنساء بالاشتراك في المعارك التي تتطلب القتال وجها لوجه ، ليس جيدا بالنسبة للقوات المسلحة."

كما استحسنت الغالبية في حزب العمال البريطاني هذا الرأي حين قالت النائبة العمالية كليري وورك : إننا (الرجال والنساء) لسنا متشابهين ، صحيح إننا متساوون في أمور عدة لكننا أي النساء والرجال مختلفون أيضاً.

فأين نحن السيدات العربيات من المساواة التي تطالب بها نساء بريطانيا ونساء أميركا؟ كلا يا سيدي الرجل ليست مساواتنا هي بأخذ مركزك في البيت ولا هي في التقدم إليك وطلب يدك في الزواج. كما أنها ليست المساواة التي تشارك فيها المرأة في المعارك والحروب، إنما المطلوب هو المساواة في المستوى، في القيمة، وفي النظرة الواحدة.

لنأخذ مثلا بعض الإحصائيات التي تتناول الأمية في العالم بشكل عام وفي بلادنا العربية بشكل خاص. يقول تقرير اليونسيف (UNICEF) بأن ثلثي العدد البالغ ٨٥٥ مليون شخص في العالم اليوم من الأميين، هم من النساء والأولاد. وأن نسبة الأمية في العالم العربي تبلغ ٦٥ مليون شخص وأن ثلثي هذه النسبة هي من النساء. ففي مصر مثلا الذي هو أكبر بلد عربي، والذي يبلغ فيه عدد السكان ٦٨ مليوناً، فإن نسبة الأمية بين النساء هي ما يقارب ٥٨ - ٦٠ % ، بينما تصل إلى ٣٦% بين الرجال. وليس هذا فحسب، بل إن الفتيات مازلن حتى الآن ونحن في بداية القرن الحادي والعشرين، يتعرضن لعملية بربرية وحشية تدعى بختان الإناث. وتُجرى هذه العملية في كل من مصر والسودان والسعودية وسائر بلدان الخليج العربي وموريتانيا.

هذا جزء يسير فقط ، وغيض من فيض كما يقولون. فنحن السيدات نطالب بالحقوق الطبيعية التي حرمت منها نساء وفتيات كثيرات في مجتمعاتنا. كحق نوال العلم والثقافة، وحق اختيار شريك الحياة، وحق التعبير وحق الاستماع إلى آرائنا وحق الاحترام

والتقدير وإلى ما هنالك من حقوق هامة. قال لي أحد المستمعين من العراق مؤخراً، والذي يستمع إلى البرنامج الخاص بالمرأة العربية الذي أقدمه في عدة إذاعات، قال لي: "أريد أن أشجع قريباتي للاستماع إليك. أنا أعلم أن الفتيات هنا يعشن في مجتمع محافظ ومغلق جداً لا يسمح لهن بالكتابة لك والتعبير عن آرائهن بالبرنامج."

نعم حتى وسائل الاتصال البدائية كالرسائل، لا تزال محرمة على الفتيات أو السيدات. ومع من؟ مع سيدات مثلهن. فما رأي سيدي الرجل في هذا؟

والسؤال الآن هل هذا هو حقا ما علمنا إياه الكتاب المقدس الذي هو مرآة لنا في كل الظروف والأحوال التي نعيشها؟ هل هذا حقا ما كلمنا به الله سبحانه وتعالى في بداية تعامله من بني البشر؟ بالطبع كلا. وليس هذا فحسب بل منحنا الرب يسوع المسيح في العهد الجديد من الكتاب المقدس قمة التعليم الإلهي المقدس من ناحية الرجل والمرأة ومركز كل منهما في العائلة، بل إن في تعامله هو مع شقي الخليقة منح تلاميذه في الماضي، الذين كانوا ما يزالون يفكرون من المنطلق اليهودي، منحهم المثال الصحيح في طريقة تعامله هو مع المرأة ونظرته لها عندما تقابل مع المرأة السامرية على بئر يعقوب. وحبانا بالتالي - نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور - الكيفية التي يجب فيها أن نتعامل مع المرأة من منظور الله العادل إذ ليس هناك فرق بين ذكر وأنثى ويهودي وأممي لأن الجميع واحد.

لقد مدَّ الرب يسوع المسيح يده لكل امرأة طلبت إليه المساعدة، ولم يصدِّ قط أياً منهن بالرغم من اعتراض البعض عليهن. فكنَّ يجلسن عند قدميه يتعلَّمن منه، ويستمعن إلى حديثه. فلم ينهرهن يوماً. بل عندما طلبن منه الشفاء والغفران لم يرفض. فهل نتعلم جميعنا من المعلم الأعظم والأمثل والأفضل؟ وهكذا لا يُساء فهمنا فيما بعد ولا نعود نصنّف في صنف الغربيات، بل كل ما هنالك أن نعامل بنفس المثال الذي وضعه لنا الرب يسوع فادينا ومخلصنا. كلا لا نريد استبدال الأدوار يا سيدي الرجل بل نسعى للمحافظة على دورنا العظيم في تربية الأجيال وتنشئة الأفراد ضمن خطة الله المقدسة للعائلة. كما نأمل منك أن تنظر إلى النساء العربيات نظرة المساوي والنظير كيما نستطيع جميعاً فيما بعد إثبات مقدراتنا التي وهبنا إياها الله تعالى. وهكذا نظّلُ معا في رحلة الحياة في مرّها وحلوها في الحاجة والفاقة وفي السراء والضراء.